

مناقشة الرفاعي ٢

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولي الصالحين، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله -صلى الله عليه وسلم-، أما بعد:

١ . فقد أخرج هذا الرجل المسمى بالدكتور عبد الإله الرفاعي مقالاً، يزعم أنني أدعي النصح، والأدب، وأني أكذب.

يقول عبد الإله الرفاعي: "عليّ الشرفي الملقب بالحذيفي الدعيّ للأدب، والنصح" ١. هـ هذا كلامه، فهذه هي دعوى عبد الإله الرفاعي في حقّي، وهي أنني أدعي الأدب، والنصح.

ثم إنه ساق ما يسميها براهين تدل عنده على أنني أكذب، وسيرى القارئ أدلته. قال شيخنا الشيخ ربيع بن هادي المدخلي -رحمه الله- في "بيان ما في نصيحة الرحيلي من الخلل والإخلال": "إذا استطال أهل الباطل على أهل الحق بالظعن، والتشويه، والتكذيب، ومدح أهل الباطل، فلا يسع أهل الحق إلا قمع الباطل، وبيان باطلهم وافترائهم، وكشف باطلهم" ١. هـ^١ فلننظر في أدلة عبد الإله الرفاعي:

الدليل الأول: -"الظالم للسلفيين من أهل بلدته".

أقول:

من تعرف من السلفيين في بلدي؟ وكم تعرف منهم؟ وهل عشت معهم حتى تتكلم بمثل هذا الاستقراء العجيب؟ وهل غالبهم يؤيدونك في هذه الدعوى أو يكذبونك؟

إن كنت تقصد أنني ظلمتهم في قضيتي فأنا لم أظلم أحداً، ولم أحكم على أحد بتبديع، ولا تحزيب، وإنما أرفع الموضوع إلى العلماء، وأكتفي بذلك، وسكت مدة طويلة، وصبرت، فأنت تقول إنني ظالم، والله تعالى يقول: "ما على المحسنين من سبيل".

وقد سألتك عدة أسئلة في الإشكالات التي ناقشتك عليها، فلم تجب عليها مع قدرتك على ذلك، لأنك تخاف من أن تفتضح، ولا زلت أكرر عليك أن ترجع إلى الأسئلة، فتجيب عنها.

وسألتك عن الشهود في القضية، وطلبت منك أن تسمي ولو شاهداً واحداً، فعبزت عن الجواب، فهذا يدل على أنكم لم تسمعوا من الشهود.

فكيف حكمتكم بدون شهود، وكيف أجزتم لأنفسكم أن تشهروا بشخص بريء بدون دليل؟

الدليل الثاني: -"كذب أهل مصر الذين استشهد بهم، ثم اتهمهما بأنهما لعلهما يكذبان عليه".

أقول:

أ . تكذيب هؤلاء الناس ليس تكديفاً لي في ميزان أهل العلم البتة، وإن تنزلنا معك فأسوأ الاحتمالات أنه خطأ، لكن بحكم أنه لم ترسخ قدمك في العلم لا تزال تستدل بكلامهم على تكديبي، والحق أنه ليس هناك خطأ، والخبر صحيح، ولولا أن الرجل غريب عن البلد، ويخشى من الضرر الذي يلحق به لسميته لك، وإذا أحببت جعلته يتواصل معك على رقمك الخاص.

^١ "بيان ما في نصيحة الرحيلي من الخلل والإخلال" (ص ٢٤).

ب. تعجّب بعض الإخوة في مصر من تركيتك لقوم لا تعرفهم، ووجّهوا لك رسالة في صوتية مدتها عشرين دقيقة، وبدأوا الصوتية بسؤالك: "هل تعرف هؤلاء الذين تعتمد على شهادتهم في جرح المعروفين؟".

ومن المعلوم أن أهل مصر أعرف منك بهم، وبحالهم، فهم مقدمون عليك، وتوثيقك لهم لا قيمة له، فهل تعرف من مشايخ مصر من يزكّيهم؟

هذه طريقة جديدة أدخلتموها في الدعوة، وهي جرح المعروفين بالدعوة إلى السنة، معتمداً على شهادة قوم أقل ما يُقال فيهم إنهم غير معروفين، ثم إنه اعتمد في جرحهم على أشياء لا تجرح الثقات حتى لو كانت من ثقات، فكيف والأمر ليس كذلك، ولو كان عندكم بعض الإنصاف ما سلكتم هذه الطريقة التي ستجني بها على الأبرياء جناية عظيمة، وهي الاعتماد على غير المعروفين لجرح المعروفين بالدعوة إلى السنة، ومعتمداً على أشياء لا تجرح الثقات.

كان الواجب عليك أن تسأل المشايخ المعتبرين من أهل البلد، وتعرض عليهم الموضوع، وتستفيد من معرفتهم لما يدور في بلدكم، هذا لو كان عندك إنصاف، لكنك تخوض في قضايا الجرح والتعديل بالهوى -نسأل الله السلامة والعافية -.

الدليل الثالث: -"إلى الأكاذيب التي وثقها عليه بادخن في مقاله".

أقول:

الاعتماد في جرح الأبرياء على أناس مجروحين هو -والله - من قلة الحياء، و"إن لم تستح فاصنع ما شئت". وهذا يدل على أن عندكم قواعد جديدة في الدعوة السلفية ستهدمون بها السلفيين في أماكن كثيرة، فأسأل الله أن يُلطف بالدعوة، ويكفيها شرّكم.

هذا الذي تستشهد بكلامه هو غير مرضي عندنا في اليمن، والذين تكلموا فيه تكلموا فيه لله تعالى، وهم أعلم منك بحاله لأن بلدي الراوي أعلم به من غيرهم، وكلامهم مفسّر لا ينبغي معارضته بالمجاملات، وقد أخرج الشيخ سامح فيه مقالا يبيّن فيه سبب تكذيبه إياه، وردّ على الذين يزكونه.

فهو مجروح لأمر:

أحدها: -أنه يطعن في شيخنا الشيخ مقبل الوادعي -رحمه الله -، وتكلم فيه في أماكن متفرقة، وإن مما يقوله في شيخنا: "أين طلاب الشيخ مقبل؟". ويقول: "أتعجّب كيف يسكت العلماء عن أخطاء الشيخ مقبل طوال هذه المدة؟".

ويقول: "إن الشيخ مقبل عنده نزعة".

فسألت الأخ الشاهد: "هل تعني أنه ذكر نزعة خارجية أو تكفيرية؟ فقال: "ذكر نحو هذه العبارة".

وقد شهد على كلامه في الشيخ مقبل الوادعي -رحمه الله - ثلاثة شهود من خيرة الفضلاء، وبدلاً من أن يتوب إلى الله من كلامه في الإمام الوادعي -رحمه الله -، ذهب يحلف يميناً يزعم أنه لم يقل شيئاً.

فأخبرني هل تنفعه هذه الأيمان يا عبد الإله وقد شهد عليه الشهود الثقات؟

وكان يرى كلام الشيخ عبد الله البخاري في الشيخ مقبل الوادعي حقّ، مع أن الشيخ عبد الله البخاري قد تراجع عن هذا الخطأ.

وقد كنت أعرف هذه الأشياء عن هذا الرجل من قبل مدة طويلة، ومع ذلك لم أكتب فيها، ولما أردت أن أكتب فيها في هذا المقال تواصلت مع الإخوة الذين سمعوه لأعيد سماع الكلام مرة أخرى حتى لا أظلم الرجل، وحتى أكون دقيقاً في العبارات التي سأنقلها.

فهذه الكلمات التي نقلتها شهد عليها شهود ثقات، وذكر بعضهم أنه سمعها منه أكثر من مرتين.

وهذا الرجل -الذي تعتمد عليه في جرح الثقات -عرف العلم متأخراً -فهو لا يعرف إمام أهل السنة في اليمن شيخنا الشيخ الإمام مقبل بن هادي الوادعي -رحمه الله، وغفر له، ورفع درجته -، ولا يعرف كيف كانت اليمن قبل دعوة شيخنا الشيخ مقبل، وكيف صارت بفضل الله ثم بفضل دعوته، فلذلك لا يُستغرب من عدم معرفته بآثاره على اليمن، وخارجها.

لم تنجب اليمن من ينتفع الناس بدعوته، وعلمه -بعد عبد الرزاق الصنعاني -مثل الشيخ مقبل الوادعي -رحمه الله - كما قال الشيخ ربيع -رحمه الله -.

وثانيها: -وهذا الرجل هو من المحرّضين على قتال الحكومة اليمنية بحجة أن فيها من الإخوان المسلمين، ولما رأيت هذا الرجل يحرض كثيراً على القتال كتبت منشوراً أنصحته أن يتوقف عن الكتابة لأنه شاب صغير، ونصحته أن يتورّع عن الدماء.

بل إنه كان يحرض على قتال بعض الأولوية العسكرية التابعة للدولة، وبعض هذه الأولوية كان هو نفسه مشتركاً فيها في التوجيه المعنوي.

يقول عن شيخنا عنده نزعة... مع أن شيخنا الشيخ مقبل الوادعي -رحمه الله -لم يحرض على الدماء أبداً بل كان من أبعد الناس عنها، وقد شهد الناس كلهم أنه يحذر من سفك الدماء.

وفي بداية التسعينات من القرن الميلادي الماضي حصلت مصادمة بين بعض الشباب في عدن مع أفراد من الشرطة بسبب مقبرة مسجد الرحمن، كان هناك بعض التجار يريد التسلط عليها، فحصلت مصادمات، وقُتل فيها أحد الأخوة -رحمه الله -، فخطب شيخنا الشيخ مقبل الوادعي -رحمه الله -وطلب من الشباب أن يسلموا كل شيء للشرطة، ولا يصادموا الشرطة، ولا زلت أذكر كلماته في خطبة الجمعة، فقد ذكر فيها أن دم المسلم أغلى عندنا من كل شيء، أو عبارة نحو هذه العبارة.

الحادث في عدن في جنوب الجنوب، وخطبة الشيخ مقبل -رحمه الله -في صعدة في شمال الشمال، فهذه هي طريقة العلماء الرحماء بالناس، والمشفقين على الدماء.^١

وفي آخر مناقشة حصلت بيني وبين هذا الرجل -الذي تعتمد عليه -كانت في الهاتف الجوال كانت حول هذه مسألة قتال الحكومة، وقد احتج في المكالمات الهاتفية بأن الشيخ ربيعاً أفتى بالقتال ضد الحكومة الليبية، واشتد

^١ قبح الله الكذاب الفاجر محمود الجمل الذي يزعم أن الشيخ مقبل بن هادي الوادعي -رحمه الله، وغفر له - كان يفتي بقتل الجنوبيين، وله فيديوهات كثيرة تدور حول هذه الكذب، ونقول لهذا الكذاب: أشفق على نفسك أيها المسكين، فأنت لا تزيد نفسك إلا هواناً، والناس يدعون عليك فأسأل الله أن يهديك أو يقطع لسانك. أما الشيخ مقبل -رحمه الله -فقد تجاوز القنطرة، وصار الناس لا يقبلون فيه أي شيء لأنهم يعرفونه حق المعرفة.

النقاش بيني وبينه، وقلت له: "اتق الله في نفسك، ولا تكذب على الشيخ ربيع، ولا تشوّه به، الشيخ ربيع لا يفتي بقتال الحكومات، الشيخ ربيع أفتى بقتال داعش، والتنظيمات الإرهابية".

ثالثها: -أنه تابع لعرفات المحمدي، رضي لنفسه بالتبعية لعرفات المحمدي، وتلميعه، والدفاع عنه بالباطل، ومن ذلك أنه يصوّر للناس أن عرفات دخل في القضية كشخص محايد، والحقيقة أن عرفات المحمدي ليس طرفًا، بل هو رأس في هذه الفتنة.

والدكتور عرفات المحمدي يحب هذا النوع من الأتباع، ويدافع عنه مع وضوح أمره، وقد سئل عنه عرفات المحمدي عنه فقال بما معناه: "هو أخ فاضل، تكلم فيه بعضهم بدون دليل". فهو أخ فاضل وإن كانت عنده هذه البلايا، وأما تحذيره من عليّ الحذيفي فقد عجز عن ذكر حجته في التحذير.

ثم لنفترض أن هذا الرجل الذي تحيل عليه ليس عنده شيء هذه الأشياء، فهو ليس راسخًا في معرفة المنهج السلفي، ولم يعاشر المشايخ السلفيين المعروفين بالمنهج السلفي، ولم يأخذ عنهم بما فيه الكفاية، فمثله لا يصل إلى مرتبة جرح الثقات، واتهامهم بالحدادية، ولا سيّما أن هؤلاء الذين يصفهم بالحدادية يعرفون الحدادية قبل أن يعرف هو السلفية.

وهناك أشياء أخرى أرى أنه لا حاجة لذكرها الآن، وأرجو أنني لا أحتاج إلى ذكرها في المستقبل. ولما نزلت القاهرة المرة الأخيرة قال بادخن لبعض أصحابه وهو يتكلم عني قال: "انتظروا ولا تحضروا له حتى تسألوا عنه المشايخ".

فأنا إذا أردت أن أقيم دروس في التوحيد، وفي العقيدة السلفية فلا بد أن أنتظر للإخوة حتى يسألوا عني المشايخ، وأما هو -ومن كان على شاكلته- فمرحّب به في أي مكان في العالم، وما يحتاج أن يُسأل عنه أحد.

فهذه بعض ثمار قواعدكم الباطلة في الجرح والتعديل، وهي جرح الثقات، وتعديل المطعون فيهم، بل وتطاول المتكلم فيهم على الثقات، وإن لم يلطف الله بأهل السنة، فوالله إنكم ستفسدون فيها كثيرًا.

إنها -والله- لجريمة تجرمون بها في حق الدعوة، والدعاة يوم أن تمكنوا لأناس مثل هؤلاء، وفي نفس الوقت تحاربون الشرفاء القدماء بدون أي ذنب.

فكيف إذا كنتم تجرحون الأبرياء معتمدين على أمثال هؤلاء؟

سيسألكم الله عن هذا العبث الذي تعبثون به، وتجنون به على الدعوة، والدعاة.

الدليل الرابع: -قولك: "لم أرسل لعلي الشرفي صوتية حتى أرفع فيها صوتي عليه بل كانت كتابة". أقول:

المحادثات التي كانت بيني وبينك أنواع:

أ. كان بعضها بالكتابة.

ب. وكان بعضها بالصوتيات.

وهذان الأمران أجزم بها جزمًا، وليس عندي أدنى شك في واحد منهما.

ج. وأظن أنه حصلت بيني وبينك مكالمة هاتفية عبر بعض البرامج بالإيمو، أو غيره، وهذا الظن ظن راجح.

ودليل الرفاعي على تكذبي هو تصويره للمحادثات التي بيني وبينه، حيث ظهرت الصورة بدون أي صوتيات.

وهل هذا دليل تجرح به عامياً فضلاً عن جرح أخ سلفي؟ هل دعواك هذه مقبولة في ميزان العلم الشرعي، أو في ميزان القضاء الشرعي؟ وهل سيرضى بكلامك أي عالم، أو قاضٍ شرعي يحترم عقول الناس، ويحترم أعراضهم؟ ألا يحتمل أنك حذف ما يدريك من الأشياء؟

ألا يحتمل أنك صوّرت ما تريده، وتركت تصوير ما تريده؟

قد سألتك يا عبد الإله عدة أسئلة، وكتمت الجواب، فالرجل الذي يكتّم الجواب وهو قادر عليه، لا يؤمن من كتم بعض المحادثات، أو حذفها.

لقد صوّرت المحادثات ناقصة حتى إنها بدون إلقاء السلام، ولا السؤال عن الأحوال، فأين ذهبت بها؟ هذه المحادثات التي صورتها هي الجزء الأخير من المحادثات التي دارت بيني وبينه، وحذفت أشياء كثيرة مهمة. ومن باب الأمانة العلمية كان يكفيك يا عبد الإله أن تأخذ بقاعدة—وقد ورد فيها حديث—: "اليمين على المنكر"، وتكون مخرجاً شرعياً لك تخرج فيها بماء الوجه، وهذا أحسن من هذه التي تسميها الدلائل، أما أنا—فوالله—ما افتريت عليك، ولا أجزى لنفسي أن أفترى على أحد.

وبعد ذلك يظهر للمنصف أن أدلة الرفاعي على تكذبي أدلة ضعيفة لا تقوم بها الحجة. وأسأل الله أن يهديه، ويصلحه، ويكفيه شر نفسه.

نصيحة أخيرة للشباب

نصيحة للشباب أن يتركوا التعرض لطلاب العلم من أهل السنة—فضلاً عن مشايخهم—، فالكلام في هذا الموضوع ليس بالأمر السهل، ولا سيما أن أهل السنة قليلون جداً، وأغلب المتصدين ليسوا أهلاً مع الأسف، وقد عرفنا مشايخنا من أرسخ الناس علماً، ومن أعظم الناس رحمة، وأكثرهم صبراً، ومن أكثرهم التماساً للأعذار، ويأتون على المخالف الذي ظهر للناس انحرافه في أصول السنة، أو نحو ذلك، فيتثبتون في أمره، ويطلعون على أخطائه من كتبه، فينقلونها، ويراسلونه في البداية بهذه الأخطاء، فإذا وجدوا أنه لم يستجب نشروا هذه الأخطاء مع ذكر المصادر التي نقلوا منها، وينصحونه بأدب، وشفقة، ويصبرون عليه سنوات.

وكان شيخنا الشيخ ربيع—رحمه الله—آية في هذا الباب، كان يكتب في بيان أخطاء المخالف، ولا يطلق عليه الأحكام احتراماً للعلماء الموجودين مع أنه أهل لذلك، ولما مات أكثر علماء أهل السنة صار يحكم بنفسه على المنحرفين، ولما سئل عن ذلك، وقيل له إنك لم تكن تحكم على هؤلاء بنفسك، فقال: "كنت أكتب في بيان الأخطاء، وأترك الحكم للعلماء، أما اليوم فقد مات أكثر هؤلاء العلماء". أو كما قال—رحمه الله—.

اليوم تصدّر بعض الشباب لباب خطير لم ترسخ أقدامهم فيه، وحصلت بسبب ذلك التصدّر جنابة عظيمة على الدعوة، وعلى الدعاة، وحصلت مشاكل كثيرة في كل مكان ولا سيما مع تيسر ما يُسمى بوسائل التواصل.

كم نَفَرَ من الناس، وكم شمت بنا من الخصوم، وكم تفرّق من الشباب بسبب هذا التخليط في الجرح والتعديل. يخرج علينا شباب صغار، أو يخرج علينا من عقولهم عقول الصغار، فلا يعرف الأسباب المشروعة للجرح، ولا يعرف وسائل الجرح المشروعة، ولا الوقت الذي تغلب فيه مصلحة الكلام، أو مصلحة السكوت، ولا يعرف كم القدر المطلوب من الكلام، فيظل يطحن في أعراض الناس لسنوات، ويشغل الناس بتراهاته، ولذلك تعجّ الساحة بمثل هذه الفوضى، ويمثل هذا الظلم.

دعوة أهل السنة بريئة من مثل هذه الأخطاء لأنها تمثل أهلها، ولا تتمثل دعوة أهل السنة.

الجرح والتعديل حقّ، دل عليه الكتاب، والسنة، والإجماع، وقد حكى الإجماع غير واحد، لكن ليس المجال مفتوحاً للطائشين، ولا للسفهاء، ولا للمزايدين، ولا للمصلحين، ولا للمتصيّبين، ولا للأطفال، ولا للسوّقة، ولا لأمثالهم، وإنما هو باب ضيق مقصور على العلماء الراسخين المرضيين الذين جمعوا بين العلم، والرحمة، والصبر، والتأني، ورجاحة العقل، الذين يتكلمون لله تعالى فليس لهم غاية إلا ابتغاء وجه الله تعالى، ويكون كلامهم بأدب، وعلم، وحكمة، وليس لهم وسيلة غير هذه الوسيلة.

هؤلاء هم الذين يرتضيهم كبار أهل السنة، ووجهائهم، ويوكلونهم في باب نقد الأخطاء، وجرح أهل الأهواء، أما الفوضويون فإنما هم كالكابوس الثقيل الجاثم على صدور أهل السنة، وهم عبء كبير على الدعوة. ومن تربّى من طلاب العلم على أيدي هؤلاء العلماء الراسخين المرضيين، فله الحق أن ينقل عنهم الجرح إذا كان يضبط ألفاظ العلماء بدقة، ويحسن تنزيله في الموضوع المناسب، وله الحق أن يتكلم في أهل البدع المعروفين بالبدع المشهورة، ويتكلم فيهم بطريقة أهل العلم بأدب، وعلم، لا بطريقة الطائشين الفوضيين، أما المعروفون بالسنة فلا ينبغي أن يتكلم فيهم إلا علماء أهل السنة الراسخين الذين تقدّم وصفهم.

فاتقوا الله في أنفسكم، وراقبوا الله في أحكامكم على الآخرين، واحذروا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، والظلم يفسد على طالب العلم دنياه وآخرته، ويمحق عنه البركة في طلبه للعلم، وكم من طالب علم جنى على غيره ظلمًا، فانتقم الله منه، وحرمه الله من مواصلة طلب العلم، وأخزاه في الدنيا، وشتته الله، وضاع مع الضائعين. واحذروا أن تفسدوا دعوة أهل السنة، واحذروا أن تنفروا الناس عنها، واحذروا أن تشتموا بها الأعداء، ومن أراد أن يتكلم فليتكلم لله تعالى، ولا يتكلم بهوى، فوالله إن بعض من يظن أنه ينصر دعوة أهل السنة إنما هو يضرها، ويمزّقها، ويفرق بين الشباب فيها، وينفر الناس عنها لأنه خاض في أمور أكبر من مستواه، وخاض في أمور لم ينضج فيها، أو أنه خاض فيها لغير الله، فأفسد كثيرًا، ولم يصلح شيئًا.¹

¹ عرفات المحمدي كان يتكلم عني كثيرًا، وحذّر من دروسي في عدن بحجج تافهة، لكنني لم ألتفت إليه، وحاولت اتّواصل مع المشايخ لينصحوه، ليس لأنني عاجز عن الرد عليه، ولكن لا أريد أن استعجل، ومع ذلك لم تكن هناك فائدة، لكن لما وصل الأمر إلى صد الأوربيين في مصر عن طلب علم العقيدة الصحيحة وهم بأشد الحاجة إلى العلم، وانتظرت فلم أجد من يوقفه عن هذا الطيش من المشايخ، رددت عليه وأبنت أن موازينه في الجرح والتعديل موازين تقوم على الهوى، والطيش.

وكذلك عبد الإله يتكلم عني أكثر من مرة ومع أكثر من شخص، ويبلغني كلامه، وما فكرت بالكتابة إلا لما رأيته يتصدّر للكلام أشخاص هم أكبر منه، وأقدم، وأعلم، يتكلم في أحد المشايخ في السعودية، وفي أحد المشايخ في السودان، وفي أحد المشايخ في مصر، فكتبت بعدها.

وأقول بكل صراحة ووضوح: إن هذين الرجلين -عرفات، والرفاعي- ليسا بأهل لأن يتكلموا في أهل السنة، ولا ينبغي لهم أن يتكلموا في أحد من أهل السنة، ولا ينبغي أن يوثق بهم، ومن أخذ بكلامهم فليتحمل المسؤولية فيما بينه وبين الله.

وأنا لم أضرهم ولم أظلمهم عندما أقول: إنهم ليسوا بأهل لهذا الباب، بل أخفف عنهم، وإنما أضرهم وأظلمهم إذا حرمت الناس من الاستفادة من علمهم بدون حقّ.

هذا آخر ما يَستَر الله به من مناقشة عبد الإله الرفاعي -هداه الله -، وسأكتفي بهذه المناقشة، فليرد إن شاء أو ليسكت، فالأمران عندي سواء، ولن أرد عليه، ولا على غيره في هذا الموضوع.

وصلّى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله

عليّ الحذيفي العدني

عدن / اليمن

٥ / جمادى الآخرة / ١٤٤٧ هـ